أحجار جورجيا الإرشادية ونظرية المؤامرة!

Georgia Guidestones and Conspiracy Theory

دكتور/ صلاح عثمان (أستاذ المنطق وفلسفة العلم – رئيس قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنوفية – جمهورية مصر العربية)

Salah Osman

(Menoufia University, Egypt)

salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

DOI: 10.13140/RG.2.2.18662.14404

مقال منشور بموقع أكاديمية بالعقل نبدأ في أربعة أجزاء: ٨، ١٠، ١٢، ١٦ نوفمبر ٢٠٢١

With Mind We Start Academy, 2021, October 8, 10, 12, 16.

في حقل هادئ ومنعزل بمقاطعة «إلبرت» Elbert County، في ولاية «جورجيا» Georgia، جنوب شرق الولايات المتحدة، ترتفع خمسة ألواح ضخمة من الجرانيت على شكل نُصبٍ رأسي، يعلوها حجرٌ سادس أفقي يربط بينها يُسمى «حجر التتويج»، كما أن بها ثقوبًا تشير إلى حركة النجوم والشمس، منها ثقب في قلب الحجر المربع المركزي يمكن من خلاله رؤية النجم القطبي Celestial Pole (أشهر نجوم الجزء الشمالي من الكرة الأرضية) في أي وقت، وثقب ثان يشير إلى الانقلابات الشمسية السنوية (ويعمل أيضًا كمزولة أو ساعة شمسية ضخمة)، وثقب ثالث في أحد الأحجار المنتصبة يسمح لأشعة الشمس بالنفاذ إلى الوجه الجنوبي للحجر المركزي في وقت الظهيرة طوال السنة. وعلى مقربة من هذا النصب يوجد لوحٌ حجري على الأرض نُقشت عليها معلومات عن النصب ومواصفاته: أبعاده ووزن ونوع حجارته ودلالات ثقوبه، ودُوِّن عليه أيضًا ما يفيد وجود كبسولة زمنية (مخبأ تاريخي لنماذج من العتاد والمعلومات) مدفونة تحت النُصب، وإن لم يُذكر تاريخ دفنها أو الزمن المتوقع لفتحها!

بُني النصب على ارتفاع تقريبي يبلغ ٧٥٠ قدمًا (٢٣٠ م) فوق مستوى سطح البحر، ويبعد حوالي تسعين ميلاً (١٤٠ كم) من شرق مدينة أتلانتا Atlanta (عاصمة ولاية جورجيا)، وخمسة وأربعين ميلاً (٧٢ كم) من مدينة أثينا Athens الجورجية، وتسعة أميال (١٤ كم) من شمال مركز مدينة إلبرتون Elberton. أما النُصب ذاته فيبلغ ارتفاعه تسعة عشر قدمًا وثلاث بوصات (٥,٨٧ مترًا)، ويصل وزن أحجاره إلى ٢٣٧,٧٤٦ رطلاً (١٠٧,٨٤٠ كجم)، ويُشار إليه أحيانًا

باسم «ستونهنج الأمريكي» American Stonehenge (نظرًا لتشابهه في كلٍ من التصميم والغموض الرمزي مع الأثر الصخري «ستونهنج» الذي يقع في مقاطعة ويلتشير Wiltshire جنوب غرب إنجلترا، والذي يرجع تاريخه إلى أواخر العصر الحجري وأوائل العصر البرونزي).

لا يعرف أحد على وجه الدقة الجهة التي تقف وراء بناء هذا النُصب، ولا الهدف من بنائه، لكن ثمة رأيًا مفاده أنه بُني خصيصًا لتوجيه البشرية بعد حدثٍ مُروع سيقع في المستقبل القريب، وسيؤدي إلى فناء أغلب البشر، حيث يحمل النُصب رسالة تتألف من عشرة مبادئ إرشادية، أو عشر وصايا توجيهية، محفورة عليها بثمان لغات مختلفة؛ لغة واحدة على كل وجه من أوجه الأحجار الأربعة المُحيطة بالحجر المركزي، وهي: الإنجليزية، الإسبانية، السواحيلية Swahili، الهندية، العبرية، العربية، الصينية التقليدية، والروسية. أما الحجر الأفقي أعلى النُصب (حجر التتويج) فيحمل رسالة أساسية بالإنجليزية مؤداها: «لتكن هذه أحجارًا إرشادية لعصر العقل» Let these be guidestones to an age of reason، مصحوبة بترجمات على حوافه الأربعة، وفي اتجاه عقارب الساعة، إلى أربع لغات منقرضة، وهي البابلية (بالكتابة المسمارية)، واليونانية الكلاسيكية، والسنسكريتية، والمصرية القديمة (الهيروغليفية).

يمكن تقسيم الوصايا العشر التي تحملها الرسالة المنقوشة باللغات المختلفة إلى أربعة مجالات رئيسة، وهي: نظام الحكم وإنشاء حكومة عالمية، والتحكم في السكان والتكاثر، والبيئة وعلاقة الجنس البشري بالطبيعة، والروحانية Spirituality. ورغم وضوح بعض هذه الوصايا، إلا أن بعضها الآخر يُثير جدلاً ونقاشًا واسع النطاق حول ما يمكن أن تتضمنه من معانٍ ودلالات خفية تتعلق بتخطيطات محتملة لمستقبل البشر من قبل منظمات سرية، ما يدفعنا إلى إعادة تأملها من حين إلى آخر، وهي مرتبة كالتالي:

١. أبقوا عدد الجنس البشري أقل من ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠، ليبقى في توازن دائم مع الطبيعة.

٢. وجهوا التناسل بحكمة، مع تحسين اللياقة والتنوع.

٣. وحدوا الجنس البشري بلغة حية جديدة.

٤. تحكموا بالعاطفة، بالعقيدة، بالتقاليد، وبجميع الأشياء بمنطق معتدل.

٥. احموا الناس والدول بواسطة قوانين عادلة ومحاكم منصفة.

٦. دعوا جميع الدول تحكم داخلياً مع تصفية المنازعات الخارجية في محكمة العالم.

٧. تجنبوا القوانين التافهة والموظفين عديمي الفائدة.

٨. وازنوا بين الحقوق الشخصية والواجبات الاجتماعية.

٩. أجِّلوا الحقيقة، الجمال، والحب، ملتمسين الانسجام مع اللانهاية.

١٠. لا تكونوا سرطانًا على الأرض؛ أفسحوا مكاناً للطبيعة ... أفسحوا مكاناً للطبيعة ... أفسحوا مكاناً للطبيعة.

لا شك أن بعض هذه الوصايا يتسم بالحكمة والنبل، ومن ثم يستحق الثناء ومحاولة التطبيق، لكن أغلبها في الحقيقة يحمل أفكارًا تستدعي بقوة نظريات المؤامرة بأشكالها المختلفة، لاسيما تلك التي تتعلق بطوفان العولمة وهيمنة رأس المال وبقاء الأصلح ومناهضة الأديان. لا شك أيضًا أن ثمة تفسيرًا جديرًا بالتأمل لهالة الغموض التي أحيط بها النُصب وبُناته، مؤداه أن هذا الغموض لا يعدو أن يكون مجرد نوعٍ من أنواع الترويج السياحي للنُصب ولولاية جورجيا، لكن الأحداث الجارية تقدم سببًا للتوقف وإعادة التفكير في الأمر منذ بدايته.

تبدأ قصة النُصب في أحد أيام الجمعة من شهر يونيو سنة ١٩٧٩. حين ظهر رجل ذو شعر رمادي يرتدي ملابس أنيقة في مقاطعة «إلبرت»، وقدَّم نفسه للسيد «جو فيندلي» Joe Fendley (رئيس شركة إلبرت لأعمال الجرانيت) باسم «آر سي كريستيان» R. C. Christian، ربما في إشارة إلى «كريستيان روزنكريوز» Christian Rosenkreuz (أو «كريستيان روز كروس» Christian Rose Cross، وهو اسم مُستعار لشخصية تاريخية أسطورية ترجع إلى العصور الوسطى، ويُنسب إليها تأسيس «نظام الصليب الوردي» Order of the Rose Cross إبان القرن السابع عشر، وقد كان هذا النظام بمثابة مدرسة سرية تهدف إلى تفعيل التطور الروحي للبشر من خلال مزج المسيحية ببعض تعاليم الحكماء العرب والأتراك والفرس).

اعترف «كريستيان» بأن هذا ليس اسمه الحقيقي، لكنه رفض الإفصاح عن هويته، مؤكدًا فقط أنه يُمثل مجموعة من الأمريكيين المخلصين، هدفهم هو بناء نُصب تذكاري يحمل رسالة بعدة لغات للأجيال الحالية والمستقبلية، ويعمل كتقويم وبوصلة وساعة، بشرط أن يتحمل الأحداث الكارثية! لم يهتم «فندلي» بالرجل في بداية الأمر، وظن أنه يتعامل مع شخص مُختل عقليًا، ولكي يصرفه أوضح له أن هذا العمل سيتطلب عددًا كبيرًا من الأجهزة والأدوات، لكن «كريستيان» أومأ برأسه بالموافقة، فقدَّم له «فندلي» عرض أسعار يفوق التكلفة الفعلية للمشروع عدة مرات، ولكن مرة أخرى، بدا «كريستيان» غير مُبال، فما كان من «فندلي» إلا أن أرسله إلى «وايت مارتن» Wyatt Martin (رئيس بنك جرانيت سيتي Granite City Bank)، وربما كان هذا الأخير أحد الأشخاص الذين رأوا هذا الرجل الغامض وتحدثوا معه أكثر من غيرهم!

في غضون ذلك، قدَّم «كريستيان» نموذجًا مُصغرًا للنُصب مصحوبًا بعشر صفحات للمواصفات المطلوبة، وتم بالفعل شراء الموقع الذي تبلغ مساحته خمسة أفدنة في الأول من أكتوبر سنة ١٩٧٩، ومُنح مالكه (واين مولينكس Wayne Mullinex) وورثته حق رعي الماشية مدى الحياة في السهول المحيطة بالأحجار الإرشادية. ولأن المواصفات المطلوبة كانت على قدر

كبير من التعقيد، كان على شـــركة البناء أن تســتعين بعالم فلك من جامعة جورجيا، لكن الجدل حول النُصـب بدأ وتصـاعد حتى قبل انتهاء البناء. يذكر «وايت مارتن» في هذا الصـدد أن كثرة من الناس طالبوه بوقف هذا العمل الشيطاني، بل واتهموه بأنه جزءٌ من حركة غامضة ذات أهدافٍ خبيثة! وفي الثاني والعشـرين من مارس سـنة ١٩٨٠، تم كشـف النقاب عن النُصـب أمام جمهور لا يتجاوز عدده مائة شــــخص (أو أربعمائة شـــخص في رواية أخرى)، وبعد الافتتاح قام «كريســتيان» بنقل ملكية الأرض والنُصــب إلى مقاطعة «إلبرت»، ومع ذلك لم تحل هذه الخطوة دون استمرار السخط على النُصب ومحاولات تشويهه؛ ففي سنة ٢٠٠٨ تم تشويه الأحجار بطلاء البولي بوريثين، وكتابة شـــعارات من قبيل «الموت للنظام العالمي الجديد» Death to the new world order، وقد وصــفت مجلة «وايرد» Wired الأمريكية هذا التشـويه بأنه أول عمل تخريبي خطير منذ بناء الأحجار الإرشادية؛ وفي سبتمبر من سنة ٢٠١٤ تلقى مكتب التحقيقات الفيدرالية بلاغًا من أحد موظفي قسـم الصـيانة بمقاطعة «إلبرت» بأن بعض الناشـطين قد تعمدوا تشـويه الأحجار بكتابة عبارات رافضــة، منها عبارة «أنا إيزيس، إلهة الحب» I Am Isis, goddess of love!

ماذا إذن عن فحوى رسـالة النُصـب الأسـاسـية ووصـاياه العشـر؟ ولماذا كانت هدفًا لنظريات المؤامرة؟ وما خطورة ما تدعو إليه أو تُبشر به؟

بدايةً تبدو رسـالة النُصـب الأسـاسـية (لتكن هذه أحجارًا إرشـادية لعصـر العقل) وكأنها تسـتلهم أفكار الفيلسوف والناشط السياسي الأمريكي «توماس بين» Thomas Paine (١٧٣٧ – ١٨٠٩) التي ضــمَّنها كتابه «عصــر العقل» *The Age of Reason* (المنشــور في ثلاثة أجزاء: ١٧٩٤، ١٧٩٥، ١٨٠٧)، والذي انتقد فيه الدين المؤسـســي (الكنســي) ومســعاه نحو الهيمنة السـياسـية، وتحدى عصـــمة الكتاب المقدس، وأنكر ما انطوى عليه من معجزات. ورغم كونه لا يرفض فكرة وجود الرب من منطلق تبنيه للدين الطبيعي، إلا أنه نظر إلى الكتب المُقدسـة، لا كنصـوصٍ إلهية أو وحيًا من عند الخالق، بل كقطع أدبية من وضـع البشـر، داعيًا إياهم إلى إعمال العقل والمنطق عوضًـا عن الوحي. هذا ما عبَّر عنه «توماس بين» بوضـوح في صـدر الفصـل الأول من كتابه، حيث صـرَّح قائلاً: «أؤمنُ بإلهٍ واحدٍ لا غير، وأطمحُ في سـعادةٍ بمعزلٍ عن هذه الحياة. أؤمنُ بأن كل الناس سـواسـية، وأؤمن أن الواجبات الدينيّة تحض على تحقيقِ العدالة، وحب الرحمة، وعلى جعل رفقائنا من الخلقِ سـعداء. بيد أني أؤمن بالمزيد من الاعتقادات بالإضـافة لذلك، ولهذا عليَّ أن أوضّح الأمور التي لا أؤمنُ بها، وأسباب عدم إيماني بها ... لا أؤمن بالعقيدة المُعلنة من قبل الكنيسـة اليهودية، والرومانيّة، والإغريقيّة، والتركيّة، والبروتسـتانتيّة، أو أية كنيسـة أعرفها؛ فعقلي هو كنيسـتي. ولا أرى في كل المؤسـسـات الكنسيّة سواء أكانت يهوديّة أم مسيحيّة أم تركيّة سوى

أنها محضُ اختراعات بشريّة، أُعدّت لاستعباد البشريّة وإرهابها، واحتكار القوة والربح. لا أودُ بهذا القول أن أُدين من يعتقدُ خلافه، لأن لهم الحق ذاته في اعتقادهم كما هو لي. ولكن من الضروري للسعادة البشريّة أن يكون الإنسان مُخلِصًا عقليًا لنفسهِ، فالكفر الحقيقيّ لا يكمن في الإيمان من عدمِه، إنما هو في اعتناق عقائد لا يؤمنُ بها المرء حقًا».

على خلفية هذه الأفكار، لم يستغرق الأمر كثيرًا من الوقت لترجمة الوصايا العشر الغامضة التي تحملها الأحجار، ومقارنتها بدعوات العولمة نحو نظام عالمي جديد، أو بالأحرى نحو عالمٍ أرضي جديد يُبنى بالعقل وحده (العقل الرأسمالي المُعولم) على أنقاض الدين! وهكذا تُرشدنا الوصية الرابعة مثلاً إلى التحكم بالعاطفة والعقيدة والتقاليد، وإخضاعها لمنطق العقل، فلقد بلغت البشرية سن النُضج، ومنذ القرن السابع عشر تعلَّم البشر أن يجدوا في العقل أساسًا جديدًا لليقين (الكوجيتو الديكارتي: أنا أفكر إذن أنا موجود Cogito, Ergo Sum)، وتعلموا استخدام العقل على نحو شامل أكثر من أي وقت مضى في محيط الشك. وقد كان لهذا التوجه ما يبرره من حيث المبدأ، بل لقد كان ضروريًا من المنظور التاريخي، للبشر في التنوير العلمي بضرورة البحث في الطبيعة وقوانينها دون تحيز، وبطريقة عقلانية ونسقية، وكذلك للبشر أنفسهم في علاقاتهم الاجتماعية بكل جوانبها المختلفة.

لكن البشر في الحقيقة لا يحيون بالعقل وحده (على حد تعبير عالم اللاهوت السويسري هانز كونج Hans Küng)؛ فعلى الرغم من أن العقل المستقل والمعرفة العلمية لهما ما يبررهما من حيث المبدأ، بل وضروريان تاريخيًا، فإن العقلانية المجردة ذات البُعد الواحد مرفوضة. وسواء أكان المرء فيزيائيًا أو فيلسوفًا أو أيًا كان، فإن كل رجل أو امرأة لديه – أو لديها – ما هو أكثر من العقل؛ لديه الرغبة أو الشعور، الخيال والاستعداد، والعواطف والشهوات والتقاليد، وقبل ذلك العقيدة، تلك التي لا يمكن ببساطة ردَّها إلى العقل. وحتى الموضوعية العلمية – التي هي في غاية المركزية بالنسبة للعلم الحديث والمعاصر – مرت بمراحل تاريخية تدفعنا إلى التأكيد على أنها ليست في هوية مطلقة مع الحقيقة؛ فكما أن العدالة بعيدة تمامًا عن استنفاد قائمة الفضائل الاجتماعية، فكذلك الموضوعية، بعيدة تمامًا عن استنفاد الفضائل الإبستيمولوجية؛ وكما أن العدالة يمكن أن تتعارض مع الخير، فالموضوعية يمكن أن تتعارض مع جوانب أخرى للحقيقة. ومهما كانت صيغ الفيزياء والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم تبدو موضوعية، إلا أنها ليست على الإطلاق المعايير الوحيدة للواقع. إن عبادة العقل كإله لم تمنع في الواقع إرهاب المقصلة إبان الثورة الفرنسية، وحتى العلم، الذي هو عقلاني للغاية، غالبًا ما يعمل بطريقة غير عقلانية تمامًا، ويؤدي أحيانًا إلى نتائج غير عقلانية.

من جهة أخرى، ترتبط الوصـية الأولى بالوصـية العاشـرة في الدعوة إلى تقليص عدد سَكان العالم بحيث لا يتجاوز ٥٠٠ مليون نسـمة، فإذا علمنا أن عدد سُكان العالم يصـل الآن إلى ٧,٨ مليار نسـمة، فمعنى ذلك أننا يجب أن نتخلص من ٧,٣ مليار شـخص، سـواء أكان ذلك حُلمًا يُراود خيال سادة العالم تحت مظلة نظامه الجديد بعد كارثة طبيعية منتظرة (لا تبرأ من ممارسات الإنسان التدميرية للكوكب)، أو كان هدفًا يسعى إليه أرباب العولمة من خلال كوارث اصطناعية متتالية، وهو ما يُحفز الذهن لاسترجاع أفكار عالم الاقتصاد الإنجليزي «توماس روبرت مالتوس» T. Malthus في كتابه «مقال عن مبادئ السكان» (١٧٩٨ & ١٨٠٣).

في هذا الكتاب ذهب «مالتوس» إلى أن سكان الأرض يتزايدون بمتوالية هندسية (أي ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ...)، بينما تزيد خيرات الأرض بمتوالية حسـابية (أي ١، ٣، ٣، ٤، ٥، ٦، ...)، وإن الإلمام البسيط بالأرقام ليبين ضخامة القوة الأولى بالنسبة إلى الثانية، ومن ثم فلنا أن نتوقع صراعًا من أجل البقاء بين سكان الأرض. وليس ثمة موجب للتفاؤل ولتوهم التقدم البشري والاجتماعي، ولأحلام السعادة التي بشَّر بها عصر التنوير. لذا يذهب «مالتوس» إلى أن الطبيعة تُصلح هذا الوضع كلما اختل التوازن بالحروب والاوبئة والقحط، غير أن الإنسان يستطيع ذلك أيضًا بإجراءات وقائية، منها مثلاً وقف الإعانات – سواء أكانت خاصة أم حكومية – لأنها تُعطي نقودًا للفقراء دون زيادة في كمية الطعـام الموجودة، ومن ثم ترتفع الأسعار وتقل المواد الغذائية. كذلك خطة الإسكان الشعبي مرفوضة، لأنها تحث على الزواج المبكر، وبالتالي زيادة عدد السكان. ولارتفاع الأجور ذات الأثر الضار، وعلى هذا تكون الوسيلة الوحيدة للفرار من هذه المعضلة المعقدة هي الزواج المتأخر مع «الكبت الأخلاقي» أي ضبط النفس عن الشهوات، وذلك بدلاً من استخدام وسائل منع الحمل التي اعتبرها – كلاهوتي – خطيئة. وبهذه الأفكار مهد «مالتوس» الطريق أمام انتشار مساوئ الرأسمالية في العصر الحديث، وامتداداتها التي يكبدها الإنسان المعاصر في عصر العولمة.

لا يُجادل أحد في استجلاء الحقيقة، والتماس الجمال والحب والانسجام البيئي (مثلما تُرشدنا الوصية التاسعة)، وإتاحة الفرصة للطبيعة كي تتنفس دون ضغط سُكاني مُدمر، لكن من ذا الذي يمكنه قبول تصفية البشر وإزهاق أرواح الملايين لتحقيق هذا الهدف؟ وهل كان فيروس كورونا (كوفيد-١٩) عُنصرًا في أجندة دولية خفية تهدف إلى التخلص من سرطان الأرض (الفقراء والمرضى وكبار السن)، لاسيما بعد أن وصفت الأمم المتحدة المعمورة (في نهاية سنة ٢٠١٨) بأنها «تشيخ» بوتائر أسرع من تجدد الأجيال الشابة – حيث سُجل لأول مرة تفوق عدد كبار السن على عدد الأطفال – وأصبح عدد سكان الأرض الذين تجاوزوا الخامسة والستين من العمر يعادل ٧٠٥ ملايين، في حين بلغ عدد الأطفال دون الخامسة نحو ٦٥٠ مليونا فقط، ومن المتوقع

أن يصــل عدد كبار الســن والمســنين مجتمعين إلى ٢,١ مليار بحلول سـنة ٢٠٥٠، الأمر الذي يُمثل تهديدًا صارخًا للاقتصاد العالمي وللبنية المجتمعية للعالم!

لنا أيضًـــا أن نتســـاءل: هل ثمة محرقة نووية تنتظرنا ويتم التخطيط لها بعناية؟ وهل يعني الحفاظ على توازن الســكان مع الطبيعة أن زيادة عدد السُــكان عن ٥٠٠ مليون نســمة يجعل الطبيعة بطريقةٍ ما غير متوازنة؟ أليس البشـــر جزءًا من الطبيعة؟ وكيف يمكن أن تبدو الطبيعة "في حالة توازن؟ ومن الذي يقرر ذلك؟

لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يبدو بشعًا حين نتأمل مغزى الوصية الثانية (وجهوا التناسل بحكمة، مع تحسين اللياقة والتنوع)، تلك التي تُمثل وجهًا ممقوتًا للداروينية الاجتماعية عُرف تاريخيًا باسم «حركة تحسين النسل» The Eugenics Movement، وهي حركة ذات أهداف سياسية واجتماعية لها من النتائج غير الأخلاقية ما وسمها بسوء السمعة، حتى بعد أن تطورت إلى علم قائم بذاته في عالمنا المعاصر، يعمل على تحديد مواقع آلاف الجينات المَرَضية في الإنسان، وإخضاعها لتشخيصات دقيقة تبشر بالوصول إلى علاجات لها كان الأمل فيها ضعيفًا حتى وقت قريب.

بدأت هذه الحركة في بريطانيا ببرنامج للتكاثر البشري وضعه الفسيولوجي والأنثروبولوجي الإنجليزي «فرانسيس جالتون» F. Galton (١٨٢٢ – ١٩١١) – وهو ابن خال «داروين» –وأطلق عليه عام ١٨٨٣ اسم «علم تحسين النسل» Eugenics (أو اليوجينيا)، وهي كلمة من أصل يوناني تعني «كريم المنشأ» أو «ابن عائلة» Well born. ولا يقتصر الهدف من هذا البرنامج على إيقاف الانحلال والتدهور المفترض في المخزون الجيني البشري، بل يتعداه إلى تحسين الصفات الجسمية والفكرية للأجيال المقبلة وفقًا لتقدير موضوعي لقيمتها.

لقد لاحظ «جالتون» أن إنسانيتنا المفرطة قد أدت إلى كون شفرة الانتخاب الطبيعي ثلمة، وما علينا إلا أن نشحذ هذه الشفرة مثلما يفعل مُربي النباتات والحيوانات، حين يستبعد الضعيف والمريض والعاجز من أفراد تلك الأنواع، ليستبقي ويُنمي منها ما يتمتع فقط بصفات مرغوبة لصالح النوع. وكان اقتراح «جالتون» في هذا الصدد هو ضرورة تدخل الدولة للحد من فرص الزواج والتكاثر بين أفراد الطبقات الأدنى في المجتمع، لاسيما أولئك الذين يعانون اضطرابات جسمية أو عقلية موروثة تنتقل بالضرورة إلى ذرياتهم. أما أفراد الطبقات الأعلى، الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية مميزة، وبنقاءٍ واضح في التركيب الجيني، فلابد من حفزهم على التزاوج والتوالد، استجابة لقانون الانتخاب الطبيعي، وعملاً على تقدم المجتمع ببقاء الأصلح والأكثر قدرة على التكيف وتطويع الواقع. وبعبارة أخرى، إذا كانت الطبقات العليا الاقتصادية – فيما يقول «هكسلي» – لها من القدرة ما ليس لغيرها، أو على الأقل لها من المقدرة ما يؤهلها للنجاح في نظامنا الاجتماعي، إلا أنها لا تتناسل بسرعة

حتى يمكن أن تحل ذريتها محلها. ومن ثم علينا أن نسعى إلى علاج هذا الوضع، بالنصح الديني والاستعانة بالوطنية من جهة، وبإعطاء الرواتب الإضافية لأصحاب العائلات، وتخفيض نفقات التعليم، وإنقاص ضريبة الدخل من أجل الأبناء من جهة أخرى. أما الطبقات الدنيا – وهي أقل قدرة من غيرها – فتتناسل بسرعة كبيرة جدًا نسبيًا، وبالتالي علينا أن نُعلمها طرق تحديد النسل، وألا نسمح بمساعدتها وباستفادتها من العلاج بالمستشفيات، حتى لا يكون في القضاء على آخر عائق في سبيل الانتخاب الطبيعي ما يُسهل إنجاب الأطفال أو بقاءهم. ويجب أن يكون التعطل ذريعة لتعقيمها، أو على الأقل تتوقف المساعدة على عدم الإكثار من إنجاب الأطفال، وهكذا.

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الأفكار قبولاً وترحيبًا من الساسة والحكام ذوي الاتجاهات القومية العرقية، لاسيما خلال الربع الأول من القرن العشرين، حيث كانت جذوة الصراع مشتعلة بين قوميات مختلفة تسعى للحفاظ على هويتها وتأكيد نقائها العرقي. وهكذا انعقد المجلس الدولي الأول لتحسين النسل The first international congress of eugenics في لندن سنة ١٩١٢، ليتخذ من «ونستون تشرشل» W. Churchill نائبًا إنجليزيًا للرئيس، ومن «تشارلز إليوت» Ch. Eliot – رئيس جامعة هارفارد وقتئذ – نائبًا أمريكيًا للرئيس، وليضم في عضويته عددًا من أكبر علماء الجينات والاجتماع في ذلك الوقت. وكما يمكن أن نتوقع، جاءت نتائج ما وضعوه من برامج لتحسين النسل فاجعة ومُروعة. ففي بريطانيا طُبقت هذه البرامج على الطبقات الدنيا والوسطى في المجتمع، خشية تكاثر السكان من أبناء الطبقة العاملة الفقيرة جينيًا، ومن ثم تدهور سلسلة النسب للعائلات البريطانية العريقة، فتم بذلك استبعاد أولئك الذين لديهم استعدادات وراثية – جسمية أو عقلية أو مهنية – ضعيفة: إما بإرسالهم إلى ميادين القتال، أو بإخضاعهم للتعقيم الجبري، في حين تمت العناية بالخبراء والأذكياء وذوي المواهب لدورهم في تقدم المجتمع. وكمثال على تباين الرؤى بشأن هذه البرامج بين علماء تحسين النسل – مع ثبات الهدف – نجد أن أحدهم، وهو «ماجور ليونارد داروين» M. L. Darwin – الابن الرابع لتشارلز داروين – كان معارضًا بقوة في كتابه «تقويم لعلم تحسين النسل» Eugenic reform لتقديم المنح الدراسية للنبهاء من أطفال الطبقات الأدنى، متعللاً بأن مثل هؤلاء الأطفال إذا ما رُقوا بمعارفهم التربوية المكتسبة إلى الطبقات الأعلى. فسوف تقل خصوبتهم، في حين أنهم لو تُركوا على حالهم، فمن المحتمل أن يكون لهم أطفال أكثر في المستقبل، ومن ثم تنمو وتنتشر جيناتهم المرغوبة. هذا فضلاً عن أن وجود هذه المنح الدراسية يُسبب إزعاجًا لآباء الأطفال من الطبقات الاجتماعية الأعلى، لما سيجدونه من منافسة قوية ممن هم دونهم، ومن ثم تقل خصوبتهم التي هي قليلة بالفعل!

ولم يختلف الحال كثيرًا في الولايات المتحدة، ففيما بين عامي ١٩٠٧, ١٩٣٠ أقرت ٣٠ ولاية أمريكية قوانين تسمح بالتعقيم الإجباري للمجرمين والمصابين بأمراض عقلية، ومع منتصف سنة

١٩٣٠ كان حوالي ٢٠,٠٠٠ أمريكي قد خضعوا للتعقيم ضد رغبتهم، سعيًا للتخلص من جيناتهم المنحطة. من جهة أخرى كان هناك إجماع بين علماء تحسين النسل الأمريكيين على خطورة موجات الهجرة المتتالية من أقطار أوربية – شرقية وغربية – على النقاء العرقي للمهاجرين الأوائل، الأمر الذي حدا بالكونجرس عام ١٩٢٤ إلى أن يُصدر قراره «سيء السمعة» بتقييد عمليات الهجرة إلى الولايات المتحدة. وما زال المجتمع الأمريكي حتى الآن يعاني أفكارًا من هذا القبيل، الأمر الذي يضع علامات استفهام كبيرة أما الدعاوي الكلامية الأمريكية التي تتغنى بحقوق الإنسان.

أما في ألمانيا فلا يخفى علينا العُمق الذي غرقت فيه النازية بتطبيقاتها لأفكار علم تحسين النسل. فقد تشرب «هتلر» هذه الأفكار – أثناء سجنه – من كتابَي: «يوجين فيشر» Eugene Fisher: «مبادئ الوراثة» The principles of heredity و«علم صحة السلالة» Race hygiene، وهو ما انعكس بقوة بعد ذلك في اهتمامه بالنقاء العرقي للجنس الآري Aryan race، والمنع القنوني للتزاوج بين الآريين واليهود «المنحطين» من جهة، وبين الأوربيين الغربيين والسود من جهة أخرى. وعندما قويت شوكة النازية عام ١٩٣٣، شرعت في التعقيم الجبري المنظم للمصابين بالشيزوفرانيا Schizophrenics (الفصام العقلي)، والمصابين بالصراع Epileptics، والمتخلفين عقليًا Feebleminded، أما الطفل المشوّه أو المعوَّق فقد تم التخلص منه بسهولة. وقد قُتل بهذه الطريقة ما يقدر بحوالي ٥٠٠٠ طفل، كما استُهدف ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ شخص مريض عقليًا وتعرضوا للقتل دون هوادة. وقد بلغ الرعب ذروته بالمحرقة البشرية Holocaust، حيث يزعم اليهود أنه قد أبيد بها منهم ما يقرب من ستة ملايين يهودي، بالإضافة إلى الشواذ Homosexuals وغيرهم من مفتقدي اللياقة والنفع!

أما الوصية الثالثة فتنتصحنا بتوحيد العالم تحت مظلة لغة واحدة جديدة ومشتركة، تُذلل صعوبات التواصل بين البشر، تحقيقًا لتصور القرية الكونية الواحدة. ورغم استحالة تحقيق ذلك في المنظور القريب، حيث يموج العالم بما يقرب من ٧٠٠٠ لغة حية (أغلبها لغات مُهددة بالانقراض في غضون قرن على الأكثر)، إلا أن الوصية توحي بأن ثمة لغة واحدة يمكن أن تسود العالم بعد كارثةٍ مُروعة تنتظره، وهو ما أزعج كثرة من المسيحيين الذين ربطوا بين اللسان المُشترك وظهور المسيح الدجال ونهاية العالم، لاسيما وأن توحيد اللغة لم يحدث تاريخيًا – وفقًا لنصوص الكتاب المُقدس – إلا بعد طوفان نوح عليه السلام: «وَقَالَ الرَّبُّ: هُو ذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ» (التكوين: ١١ – ٦). على أن الأكثر إثارة للإزعاج هو ارتباط الوصية بعددٍ من نتائج الدراسات الاقتصادية التي تؤكد حاجة النظام العالمي الجديد إلى توحيد اللغة لخدمة التجارة الدولية، بغض النظر عن طمس الهويات وإبادة الثقافات المختلفة؛ فوفقًا لدراسة أجراها البروفيسور «جيمس

فورمان بيك» James Foreman-Peck (أستاذ الاقتصاد بكلية إدارة الأعمال بجامعة كارديف Cardiff Business School بالمملكة المتحدة)، ونشرت نتائجها صحيفة الجارديان البريطانية بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ٢٠١٣، تُكلف المهارات اللغوية الضعيفة الاقتصاد ٤٨ مليار جنيه إسترليني (٧٥,٦ مليار دولار) سنويًا، أو ٣,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وأشارت الدراسة إلى أن عدم القدرة على التواصل على الصعيد العالمي يضر بشكل خاص بالمصدرين الصغار والمتوسطين غير القادرين على تحمل تكاليف المتخصصين اللغويين الذين توظفهم الشركات الكبرى! ويدعم مسح منفصل أجرته غرفة التجارة البريطانية نتائج هذه الدراسة، حيث كشف عن أن ٦٢٪ من الشركات غير المصدرة التي تبحث عن فرصٍ دولية تُعد اللغة عائقًا كبيرًا يُعرقل مسيرتها، في حين أن ٧٠٪ من المصدرين ليست لديهم القدرة على التحدث بلغة أجنبية في البلدان التي يتواجدون بها! وثمة طريقة أخرى لحساب التكلفة الاقتصادية الناجمة عن صعوبات التواصل اللغوي؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية – على سبيل المثال – بلغ الناتج المحلي الإجمالي سنة ٢٠١٤ حوالي ١٧,٤١ تريليون دولار. وإذا نظرنا إلى ما توصل إليه «فورمان بيك» من أن تكلفة المهارات اللغوية الضعيفة ٣,٥٪ من هذا الناتج المحلي في المتوسط، فهذا يعني أن الولايات المتحدة أهدرت ما يقرب من ٦٠٠ مليار دولار مقابل الوقت المُبدد في محاولات التواصل اللغوي في عام واحد، وهو المبلغ ذاته تقريبًا الذي تُنفقه حكومة الولايات المتحدة على جيشها كل عام (١٦٪ من الميزانية الوطنية).

بالإضافة إلى ما سبق، تثير الوصية الثالثة عددًا من التساؤلات الهامة، لعل أبرزها هو ذلك السؤال المتعلق بماهية اللغة التي يمكن أن يتواصل بها البشر جميعًا: هل هي الإنجليزية أم الصينية أم الإسبانية أم العربية أم لغة مختلفة جديدة؟ ربما كانت اللغة المُرشحة – لأسباب برجماتية بحتة – هي الإنجليزية، فرغم كونها ليست لغةً مثالية عالمية نظرًا لصعوبة تعلمها من قبل بعض الشعوب، إلا أنها اللغة الأكثر استخدامًا في عالمنا المعاصر في كثرة من المجالات: في العلوم والتكنولوجيا، وفي العلاقات الدولية (بوصفها اللغة الرسمية للأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي)، وفي الطيران والملاحة البحرية، بل وفي الثقافة الشعبية العالمية بفضل هوليوود. ومع ذلك، ليس من المحتمل أن تتخلى الشعوب ببساطة عن ثقافاتها المرتبطة باللغة لصالح ثقافة وحيدة تفرضها العولمة، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير، بل هي أولاً وقبل كل شيء نمط من أنماط الوجود الذاتي، وطريقة لتجربة العالم؛ وهي ليست ببساطة وسيلة لوصف الأشياء، وإنما لرؤيتها. وبعبارة أخرى، يكشف العالم عن نفسه بطريقة معينة للكاتب الياباني، وبطريقة أخرى لمن يكتب بالفنلندية أو العربية أو الفرنسية. إن لغة الكاتب ليست مجرد أداة للتواصل، لكنها جزءٌ

أساسي مما هو عليه، ومعنى أن يتخلى المرء عن لغته الأم ويتبنى لغة أخرى جديدة هو أن يُفكك نفسك قطعة فقطعة، ثم يُعيد تجميع نفسه مرة أخرى بشكل مختلف!

الخيار الآخر المُفترض للتغلب على هذه الصعوبات هو تدشين لغة جديدة تمامًا؛ لغة يمكن أن يتحدث بها العالم بأسره، بحيث تكون منفصلة عن أية ثقافة أو تراث أو هوية مميزة. وهذه اللغة موجودة بالفعل، بل وترجع إلى سنة ١٨٨٧؛ إنها لغة «الإسبرانتو» Esperanto التي ابتكرها طبيب العيون البولندي «ودفيغ إليعازر زمنهوف» Ludwik Łazarz Zamenhof (١٨٥٩ – ١٩١٧). تم تصميم الإسبرانتو بحيث تكون سهلة التعلم ومحايدة سياسيًا وثقافيًا، ما يجعلها مرشحًا مثاليًا كلغة ثانوية عالمية. ويقدر عدد المتكلمين بلغة الإسبرانتو حاليًا حوالي مليوني شخص حول العالم، وثمة الآلاف من الكتب وأكثر من مئة مجلة دورية متنوعة تتناول مبادئ وتراكيب هذه اللغة، كما تم تأسيس منظمة عالمية للاسبرانتو سنة ١٩٠٨ (مقرها الحالي مدينة روتردام الهولندية) تضم في عضويتها ممثلين عن ١١٩ دولة، ولها علاقات مع الأمم المتحدة واليونسكو واليونيسف والاتحاد الأوروبي، وهي عضو المنظمة عضو في مجلس اللغات الأوروبية.

أخيرًا تشير الوصايا الأخرى الباقية (من الخامسة إلى الثامنة) إلى القوانين والمحاكم وأنظمة الحكم، بما في ذلك إنشاء حكومة عالمية واحدة تقودها مثلاً الأمم المتحدة. والحق أن فكرة الحكومة العالمية ليست وليدة اليوم، ولا هي فكرةٌ مستقبلية مثلما توحي الوصية السادسة، فقد تبناها من قبل المصريون القدماء والصينيون واليونانيون، كما دعا إليها في عالمنا المعاصر علماء وفلاسفة مثل «آلبرت آينشتين» و«برتراند رسل» «وستيفن هوكنج»، إما لنبذ العنف الناجم عن القومية المُفرطة، أو لمنع الصراعات الدولية والحيلولة دون نشوب حرب نووية عالمية، أو للتعامل مع المشكلات المنبثقة عن تقنيات الذكاء الصناعي ومكافحة القضايا المُلحة كالتغير المُناخي والأسلحة فائقة التدمير. كذلك تبدو الفكرة بمثابة ضرورة تطورية تاريخية، حيث كان البشر قديمًا يعيشون في نحو ٦٠٠ ألف مملكة وقبيلة، تقلصت إلى حوالي ٢٠٠ دولة أو أكثر قليلاً الآن. ومع ذلك، من الصعب تصور أي سيناريو تثق فيه كل الدول ببعضها بما فيه الكفاية، أو تقبل فيه بعض الدول باندماج دول أخرى فيها، أو لا تُهيمن فيه دولة بعينها أو مجموعة دول على كافة دول العالم مثلما تفعل الولايات المتحدة أو الدول الصناعية الكبرى اليوم، ويُعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي مثالاً بارزًا على ما يُواجه فكرة الحكومة العالمية من مشكلات ومصاعب!

من جهة أخرى، لا شك أن البشر جميعًا يطمحون إلى العيش تحت مظلة قوانين عادلة، وفي كنف عالمٍ تحميه محاكم عادلة، ولا شك أيضًا أن الموازنة بين الحقوق والواجبات الاجتماعية هي

أوضـــح مطلب لدولة عالمية تبسط سـلطانها على الجميع، لكن علينا أن نعي جيدًا أننا نتمتع بالحقوق لأننا موجودون، وليس لأن شخصًا أو حكومة أو دولة يمنحنا أو تمنحنا حقوقًا! وقد يكون من الجيد أن تُسهم في تحقيق رفاهية الآخرين ولو بالقوة، لكن هذا الفعل في النهاية لن يجلب لهم السعادة، لأنه ببساطة كدحٌ وإجبار تحت تهديد السلاح!

الوصـــايا التي تحملها الأحجار تبدو مُروعة للغاية، وأيًا كانت تأويلاتها فهي تعكس فكرًا وفلســفة وأيديولوجية كابدت البشرية نتائج تطبيقها ردحًا طويلاً من الزمن، وإن كانت تتحقق رويدًا رويدًا، شئنا أو أبينا، وعينا أو لم نعي!

***

- **توثيق المقال بنظام APA:**

عثمان، صــلاح (٨، ١٠، ١٢، ١٦ نوفمبر ٢٠٢١). «أحجار جورجيا الإرشــادية ونظرية المؤامرة». أكاديمية بالعقل نبدأ، القاهرة. تم الاسترداد بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١ من:

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام/

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٢/

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٣/

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٤/

APA Citation:

Osman, S. (عثمان، ص) (2021, November 8). Georgia Guidestones and Conspiracy Theory (أحجار جورجيا الإرشــادية ونظرية المؤامرة). With Mind We Start Academy Retrieved November 23, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام/

Osman, S. (عثمـان، ص) (2021, November 10). Georgia Guidestones and Conspiracy Theory (أحجار جورجيا الإرشــادية ونظرية المؤامرة). With Mind We Start Academy Retrieved November 23, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٢/

Osman, S. (عثمـان، ص) (2021, November 12). Georgia Guidestones and Conspiracy Theory (أحجار جورجيا الإرشــادية ونظرية المؤامرة). With Mind We Start Academy Retrieved November 23, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٣/

Osman, S. (عثمـان، ص) (2021, November 16). Georgia Guidestones and Conspiracy Theory (أحجار جورجيا الإرشــادية ونظرية المؤامرة). With Mind We Start Academy Retrieved November 23, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/أحجار-جورجيا-الإرشادية-ونظرية-المؤام-٤/

***